الرسول والشعر

ا.د عبد الصبور ضيق محمد

يلقي الباحث في ثنايا سنة الرسول صلي الله عليه وسلم عـــددا من الأحاديث والآثار. بعضها يشير الي ثناء الرسول الكريم صلـــي الله عليه وسلم خيرا علي الشعراء ، وحثه لهم علي قول الشعر فيمـا ينصر الدعوة ، ويعلي كلمة الله ، ويدعو إلي الأخوة والمحبة والهدي وبعضها يشير إلي استهجان الشعر ، والدعوة إلي تركه ، والحث علي هجر قوله أو الاستماع له ..

وقد حملت دعوة الرسول صلي الله عليه وسليم في حديث له إلـــي ترك الشعر بعض اصحاب الرأي علي القول بهجر الشعر ونبـــــذ الشعراء وإصدار الاحكام بلا تحقيق علمي ، أو سند شرعي مدروس

إن التناقض الموهوم بين الرأيين أو الدعوتين : التشجيع علـــي قول الشعر ، والحث علي تركه ، لايقوم بحال أبداً ، وذلـــك أن التشجيع علي قول الشعر وروايته ، أو الحث علي هجره وتركـــــه يرجعان إلي نوعية الشعر ، وغرضه وغايته ، وهو ما أشرنا إليـــه في ثنايا هذا البحث ، وما حاولنا توضيحه وتبيانه ..

فالشعر الصالح المعبر عن وجدان الشاعر وعواطفه وأحاسيســـــه في الخير والهدي ، هو الذي أحب الرسول الكريم صلي الله عليـــــه وسلم أن يستمع إليه ، وحث الشعراء المؤمنين علي قوله ، والشعـــر السيي ء المعبر عن منكر ، أو الداعي إلي فحش وباطل هو الـــــذي

نهي الرسول صلي الله عليه وسلم عن قوله أو الاستماع له والاصغاء لمنشده أو راويه ....

لقد سرَّ الرسول صلي الله عليه وسلم بالشعر الحسن واستمع لكثير من الشعر ، سواء ما ألقي بين يديه ، أو مارغب في أن يسمعه واستزاد منه ، ومن أشهر من كان يستمع لشعرهم ، حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه ، وكعب بن مالك ، وكعب بن زهير رضي الله عن شعراء الدعوة أجمعين ...

(عن الشريد رضي الله عنه قال : رَدِفتُ رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم ، هيه ، فانشدته بيتا فقال هيه ، ثم انشدته بيتا فقال هيه حتي انشدته مائة بيت) (١)

ولعمري كيف يمكن لرسول الله صلي الله عليه وسلم أن يحرم الشعر ، أو يُرغِبَ عنه وهو علي مثل هذا الإعجاب ، أو الرغبة في سماعه ، ومن شعر رجل مشرك كان بينه وبين الإسلام خصومة وعداوة ..... وقد روي جابر بن سمرة رضي الله عنه قال (٢) جالست النبي صلي الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة ، فكان اصحابه يتناشدون الشعر ، يتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية ، وهو ساكت وربما تبسم معهم .....

---

(١) رواه مسلم ١٧٦٧/٤

(٢) رواه الترمذي

ومثل هذا الحديث يشير إلي كثرة ما كان يستمع النبي له من الشعر يتناشده اصحابه فيما بينهم ، بعد أن عرفنا أنه صلي الله عليه وسلم كان يرغب في أن يستمع للشعر الجيد من أصحابه .

(قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلي الله غليه وسلم يخصف نَعلَهُ وكنت جالسةً أغزل ، فنظرَ إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً قالت فبهت فنظر إلي فقال : مالك بهت ؟ فقلت يارسول الله ، نظرت اليك فجعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نوراً ، ولو رآك أبو بكر الهزلي لعلم أنك احق بشعره. قال ما يقول يا عائشة أبو بكرالهزلي ؟ قالت هذين البيتين :-

ومبرأ من كل غُبَّر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلي أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

قالت : فوضع صلي الله عليه وسلم ما كان بيده ، وقام إليّ ، وقبل ما بين عيني وقال : جزاك الله خيرا يا عائشة ما سُرِرتِ مني كسروري منك) (١)

أي قمة سامقة من الخلق النبوي الرفيع يبلغ بها ربُّ العزة نبيه ، وأي مستوي كريم من الروح الإنساني يتحلي به صلوات الله وسلامه عليه

قمة التواضع أن يخصف سيد الخلق نعله بيده ، وأن تغزل زوجه البرة الطاهرة ثوبها بيدها ، بل ان ذلك هو المنهج العملي السليم

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة ....

الذي يصنعه صلوات الله وسلامه عليه لمن أراد أن يحكم أمة ، أو يقود شعوباً ، أو يوجه الضائعين من الخلق ..

وقمة الحنان أن تتطلع عائشة الإنسانة إلي جبين محمد صلي الله عليه وسلم الانسان ، فتحب تلألؤ العرق علي جبينه الشريفة وتبهت لذلك الجمال النبوي الطاهر ..

وقمة الحب أن يكافيء الرسول (صلي الله عليه وسلم) زوجه بتقبيل ما بين عينيها علي صفاتها وذكرها له بما حسن من المعاني وماجل من الوصف ، مما حمله علي الدعاء لها : جزاك الله خيرا يا عائشة ، ما سررت مني كسروري منك

إن الوسيلة الأدائية لذلك كله والأسلوب التعبيري الذي أثار الحنان والحب ، وحرك الوجدان والمشاعر في قلب النبي صلي الله عليه وسلم ونفس الصديقة بيتان من الشعر ، تمثلت بهما أم المؤمنين رضوان الله عليها بين يدي سيد الخلق وخاتم النبيين ..

وأخرج ابن جرير عن عروة أن حكيم بن حزام رضي الله عنه خرج إلي اليمن فأشتري حلة ذي يزن ، فقدم بها المدينة علي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأهداها له ، فردها رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال : (إنا لا نقبل هدية مشرك) فباعها حكيم ، فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأشتريت له فلبسها ثم دخل فيها المسجد ، قال الحكيم : فما رأيت أحدا قط أحسن منه فيها ، كأنه القمر ليلة البدر ....

فما ملكت نفسي حين رأيته أن قلت :-

وما تنظر الحكام بالحكم بعد ما ... بدا واضح ذو غرة وحجـــول

إذا قايسوه المجد أربي عليهـــم ... كمستفرغ ماء الذناب سجيل

فضحك الرسول صلي الله عليه وسلم (١)

لقد كرم الرسول (صلي الله عليه وسلم) الشعر بأن استمع له حتي في مسجده ، مادام ذلك الشعر وسيلة من وسائل الخير ، وأسلوبا من أساليب البناء ..

(عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلي الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم علي تنزيلـــه

ضربا يزيل الهام عن مقيلـه ... ويذهل الخليل عن خليلـــه

فقال عمر يا بن رواحة : بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال له النبي صلي الله عليه وسلم(خل عنك يا عمر فلهي أسرعُ فيهم من نضح النبل) (٢)

وقد ورد أنه صلي الله عليه وسلم ، لما جاءه بنو تميم وشاعرهم الأقرع بن حابس نادوه ، يا محمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك فإن مدحنا زين ثمنـــا ، فلم يزد صلي الله عليه وسلم علـي أن قال : ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم شان ؛ إني لـــم أبعث بالشعر ، ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا ، فأمر الرسول صلي الله

(١) حياة الصحابة : ٤٥٧/٢ وقد اخرجه الطبراني عن حكيم بن حزام
(٢) رواه الترمـــزي .....

عليه وسلم ثابت بن قيس أن يجيب خطيبهم ، فخطب فغلبهم فقام الأقرع بن حابس فقال :

أتيناك كما يعرف الناس فضلنا إذا خالفونا عند ذكر المكارم
وأنّا رؤوس الناس من كل معشر وأن ليس في أرض الحجازكوارم

فأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم حسانا يجيبهم فقال :-

بني دارها تفخروا إن فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خَول مابين قن وخادم

ان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بذلك يقرر حقيقة أنه نبي لا شاعر ، لكنه لا يرفضُ أن يستمع لخطيب القوم وشاعرهم بل نراه يصدر أمره لصحبه من حوله أن ينبروا للرد علي القوم - بأسلوبهم الذي يعرفون ، ولغتهم التي يفهمون ، ويغلب خطيب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خطيبهم ، وينتصر شاعر النبي الكريم (صلي الله عليه وسلم) علي شاعرهم ويدخل القوم في الإسلام استجابة لقوله الحق ونداء الدعوة ..

قال ابن حجر : وفي الحديث حل إنشاد الشعر بالمسجد بل ندبه إذا اشتمل علي مدح الإسلام وأهله ، أو هجاء الكفار وتحقيرهم والتحريض علي قتالهم ..

عن يزيد بن عمر بن مسلم الخزاعي عن أبيه عن جده قال :

دخلت علي النبي (صلي الله عليه وسلم) ومنشد ينشده قول سويد بن عامر المصطلقي :

لا تأمنن وان امسيت في حـــرم ... إن المنايا تحمي كل إنسان
فاسلك طريقك تمشي غير مخشـــع ... متي تلاقي الذي منيلك الماني
فكل ذي صاحب يوما مفارقـــــه ... وكل ذاد وان أبقيته فـــان
والخير والشر مقرونان في قـــرن ... بكل ذلك يأتيك الجديـدان

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) : لو أدرك هذا الإســـــلام لأسلم (١) ..

وأنشد بيت طرفة للنبي صلي الله عليه وسلم (٢)

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهـلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وسمع النبي صلي الله عليه وسلم عائشة وهي تنشد شعر زهير برجناب تقول :

إرفع ضعيفك لا يحل بك ضعفـــه ... يوما فتدركه عواقب ما جني
يجريت أو يثني عليه فإن مـــن ... أثني عليك بما فعلتكمن جزي

فقال النبي صلي الله عليه وسلم : صدق يا عائشة لا يشكر الله من لا يشكر الناس (٣)

وأخرج البيهقي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ يقول :

لما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن (٤)

طلع البدرعلينـــــا ... من ثنيات الـــوداع
وجب الشكر علينـــا ... ما دعا للـــــه داع
أيها المبعوث فينـــا ... جئت بالأمر المطاع

(١) العقد الفريد جـ ٥ ـ ٢٧٥ ، موقف الاسلام من الشعر د/ صلاحالدين عبد التواب (٢) العقد الفريد جـ ٥ ـ ٢٧١
(٣) العقد الفريد جـ
(٤) حياة الصحابة

ويحث القادرين من أصحابه علي قول الشعر طالما اغتنم فرصة ليحث اصحابه علي قول الشعر فيها ، سواء أكان أولئك الأصحاب ممن عرف عنهم قول الشعر موهبة وغزارة عطاء ، أم ممن تسمح لهم فصاحتهم وفطرتهم العربية السليمة بأن يقولوه أو يتمثلوا به :

وسواء أكان ذلك الشعر قصائد أم مقطوعات أم أبياتا تردد ، في وصف المؤمنين أو حثهم علي العمل الصالح والجهاد الحق ، فإنه صلي الله عليه وسلم كان يرتاح لما يسمع وتطمئن نفسه لما يقال .

أخرج ابن عساكر عن طلحة - رضي الله عنه - قال : لما كان أحد ارتجزت بهذا الشعر :

نحن حماة غالب ومالك نذب عن رسولنا المبارك
نضرب عنه القوم في المعارك ضرب صفاح الكوم في المبارك

وما انصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم أحد حتي قال لحسان رضي الله عنه :

..... (قل في طلحة) - رضي الله عنه - (فقال) (١)

وطلحة يوم الشعب آسي محمدا علي ساعة ضاقت عليه وشقت
يقيه بكفيه الرماح وأسلمت اشاجعة تحت السيوف فشلت
وكان إمام الناس إلا محمدا اقام رحي الإسلام حتي استقلت

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

حمي نبي الهدي والخيل تتبعه حتي إذا ما لقوا حامي عن الدين
صبرا علي الطعن اذا ولت حما تهم والناس من بين مهدي ومفتون

(١) حياة الصحابة ١٢/٢

يا طلحة بن عبيد والله قد وجبت لك الجنان وزوجت المها العين (١)

وقال عمر رضي الله عنه :-

حمي نبي الهدي بالسيف منصلتا لما تولي جميع الناس وانكشفوا

فقال النبي صلي الله عليه وسلم (صدقت يا عمر) (٢)

وقال صلي الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة : ما الشعر يا عبد الله ؟ قال شيء يختلج في صدري فينطق به لساني .. قال فأنشدني ، فأنشده شعره الذي يقول فيه :-

قبلت لله ما أتاك من حسن قفوت عيسي بإذن الله والقدر

فقال النبي صلي الله عليه وسلم (واياك قبلت لله .. وإياك قبلت لله) (٣)

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال : (أخبرنا شعيب عن الزهري قال اخبرني ابو سلمه بن عبد الرحمن بن عوف انه سمع حسان ابن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة :

أنشدك الله هل سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول :

يا حسان أجب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم أيده بروح القدس : قال أبو هريرة : نعم) (٤)

وروي عن البراء رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم : أهج المشركين فإن جبريل معك - قال لحسان بن ثابت (٥)

(١) المصدر السابق ..
(٢) منتخب الكنز جـ ٥ صـ ٦
(٣) العقد الفريد ٣/ ٥ ٣
(٤) رواه البخاري
(٥) رواه البخاري ومسلم .....

ولذا عرفنا أن حسانا رضي الله عنه لم يكن رجل حرب ولا طعان أدركنا فيما يكون جبريل معه ، يلهمة كلمة الحق ، ويعينه علي نصرة دين الله .. وعلي الرغم مما كان عليه حسان رضي الله عنه من نفور من الحرب أو القتال فقد دعاه الرسول صلي الله عليه وسلم أن يزجي من بضاعته التي هي أسرع من نضج النبل ، وحثه علي أن يهجو المشركين ، وأن ينال منهم حين تنكروا لدين الله ، وحاربوا دعوته وكذبوا رسوله ..

وبذلك يتقبل الرسول صلي الله عليه وسلم من كل مسلم طاقته التي ، وقدرته التي يمنحها الدعوة ، سواء أكانت جهادا بالسيف أم جهاداً باللسان علي أن يكون ذلك الجهاد الجسدي أو الفكري خالصا لوجه الله تعالي ولا يبتغي سواه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي صلي الله عليه وسلم : إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل) (١) ..

وقد أذن النبي الكريم لحسان بن ثابت أن يهجو المشركين ، ودعاه إلي أن يلقي أبا بكر رضي الله عنه العالم بالأنساب حتي يهجو قريشا وغيرها عن علم ودراية ..

عن حسان قال : (استأذنت النبي صلي الله عليه وسلم في هجاء المشركين فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم (فكيف بنسبي

(١) تفسير ابن كثير ....

فقلت : لأسلنّك منهم كما تسل الشعرة من العجين) [١]..

ويروي أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال : من ينجي أعراض المسلمين ؟ فتقدم حسان مع من تقدموا ، وقال للرسول صلي الله عليه وسلم وقد اخرج لسانه : والله يارسول الله إنه ليخيل لي أني لو وضعته علي حجر لفلقه ، أو شعر لحلقه) فقال الرسول صلي الله عليه وسلم : أنت له ، أذهب إلي أبي بكر يخبرك بمثالب القوم ، ثم اهجهم وجبريل معك [٢]

وفي رواية أنه قال : لا تعجل وأت أبا بكر فإنه أعلم قريش بأنسابها حتي يمحص لك نسبي [٣] وراح حسان يعرف أخبار القوم في الجاهلية ويبحث عن مثالبهم ، من جبن وبخل وتقاعس عن النجدة مما كان يعير به العرب وكان رضي الله عنه يتتبع ذلك مستعينا بعلماء الأنساب العارفين بأحوال العرب وأيامهم وما كانوا عليه في الجاهلية ..

ولما كان حسان رضي الله عنه يهجو قريشا أحيانا بالضلالة والتخلف عن الهدي واتباع الهوي وبيع الآجلة بالعاجلة ، وهو بذلك يغرف من بحر الدعوة التي آمن بها ويطعن فيمن تخلف عنها وأدبر وفي الحالتين كان حسان رضي الله عنه يبغي وجه الله بإذلال ، نفوس الكافرين والحد من غطرستهم وعنجهيتهم التي كانوا يقابلون بها أتباع الدعوة الجديدة الذين تفتحت أذهانهم ،واستنارت بصائرهم فهجروا عبادة الأوثان إلي عبادة الله وحده ، ولقد فعل

(١) رواه البخاري (٢) العقد الفريد
(٣) رواه في الرياض النضرة وقال حديث حسن صحيح ....

هجاء حسان فعله فكان أسرع من نضح النبل ، وأشد علي نفوس المشركين من وقع الأسنة ..

الشعر سلاح في المعركة :

سار في موكب الدعوة الظاهر وفي عهد الرسول صلي الله عليه وسلم جمع من شعراء الدعوة مهاجرين وأنصار ، وكانوا حول رسول الله يلتفون ، يدفعون كلمة السوء ويعلون أصواتهم بالحق وليس لهم من طمع في دنيا نزول أو عرض يفني ، ولكنهم يبحثون عن رضوان الله وطمأنينة رسوله ودعواته لهم ..

وإذا نالهم أو نال بعضهم جزء من الغنيمة فإن ذلك ليس من أهدافهم التي نحوها يسعون ، ولكنه عرض في الطريق لا يرد ولو أرادوا أضعافه في معكسر الشرك لوجدوه وأكثر منه لدي أعداء الدعوة ، ولفتحت لهم خزائن تجار قريش تغمرهم بالعطاء ، وهو غاية الشعراء من أمثال الأعشي الذي جعل بينه وبين لقاء رسول الله صلي الله عليه وسلم بمائة من الإبل ..

كان جاهليا قديما وأدرك الإسلام في آخر عمره ورحل إلي النبي صلي الله عليه وسلم في صلح الحديبية فسأله إبو سفيان بن حرب عن وجهته الذي يريد فقال : أردت محمدا .. قال انه يحرم عليكم الخمر والزنا والقمار .. قال : أما الزنا فقد تركني ولم أتركه ، وأما الخمر فقد قضيت منها وطراً ، وأما القمار فلعلي

أصيب منه عوضا ، قال له : فهل لك إلي خير ؟ قال : وماهـــو؟ قال : بيننـا وبينه هدنه فترجع عامك هذا وتأخذ مائة ناقة حمراء فإن ظفـر بعد ذلك أتيته وإن خفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضا .. فقال : لا أبالي فأخذه أبو سفيان إلي منزله وجمع عليـه أصحابه وقال : يا معشر قريش : هـذا أعشي قيس .. ولئن وصـل الي محمد لينصر من عليكم العرب قاطبة فجمعوا مائة ناقة حمـراء فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بعيره فقتله (١)

لقد وقف المهاجرون بصبرهم وتضحياتهم إلي جانب النبـي الكريم في معركته ضد الباطل ، ولم يتخلف عن ذلك شعراؤهـم من أمثال عبدالله بن جحش وأخوه أبو أحمد وعبد الله بن الحارث السهمي وعثمان بن مظعون ولم تتخلف شواعر المهاجرون مـن النساء عن الوقوف بصدق وثبات مع النبي الكريم من أمثال بنـت أثاثة بن عبد المطلب وصفية بنت عبد المطلب ونعم بنت سعيـد زوجـة شماس ..

وقف الأنصار بسيوفهم المشرعة وقلوبهم المؤمنة يفتحونهـا لرسول الله صلي الله عليه وسلم وصحبه من المهاجرين الأبـرار ولم يتخلف من الأنصار شعراؤهم ، بل كانوا طليعة موكب الدعـوة وعماد معركتها الكلامية التبليغية الإعلامية من أمثال حسان بـن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحـة ....

---

(١) انظر الشعر والشعراء

ويستجيب الرسول صلي الله عليه وسلم لاستغاثة الشعر في مواقف كريمة ذكر بها الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم، منها ما يحرك عاطفته الصافية ووجدانه الشفيف ويذكره بطفولته وهو يعلو علي صدر ظئره ويدرج بين يديمربيهومنها ما يذكره بواجبه نحو خنعاثه ويدعوه للوفاء وهو أكرم من وفي بعهد أو صدق بوعد

ومن حديث زياد بن طارق الجشمي قال حدثني أبو جرولالجشمي وكان رئيس قومه قال أمرنا النبي صلي الله عليه وسلم يوم حنين فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :-

أمنُن علينا رسول الله في حُرَ م فإنك المرء نرجوه وننتظر
أمنن علي نسوة قدكنت ترضعها يا أرجح الناس حلماحين يختبر
إنالنشكر للنعمي إذا كفُرت وعندنا بعدهذا اليوم مدّخر

فذكّرته حين نشأ في هوازن وأرضعوه ، فقال عليه الصلاة والسلام (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم) فقالتا الأنصار وما كان لنا فهو لله ولرسوله ، فردّت الأنصار ما كان بين ايديها من الذراري والأموال (١)

ويروي الزبير بن بكار قال : مر رسول الله صلي الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فسمع رجلا ينشد في بعض أزقة مكه :

(١) العقد الفريد جـ ٥ صـ ٢٧٩ ، موقف الاسلام من السعر د/ صلاح عبد التواب صـ ١٠٦

يا أيها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال النبي : يا أبا بكر ،أهكذا قال الشاعر ؟ قال لا يارسول الله ولكنه قال :-

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف

فقال صلي الله عليه وسلم : هكذا كنا نسمعها (١)

وكان الذي هاج فتح مكة أن عمرو بن سالم الخزاعي ، ثم أحد بني كعب خرج من مكة حتي قدم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانت خزاعة في حلف النبي صلي الله عليه وسلم وفي عهده وعقده ..

فلما انقضت عليهم قريش بمكة وأصابوا منهم ما أصابوا أقبل عمرو بن مالك الخزاعي بأبيات قالها :- فوقف علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد بين أظهر الناس فقال :

يارب إني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنت والدا وكنا ولدا ... وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أذل وأقل عددا ... هم تبنونا بالوتير هجدا

وقتلونا ركعا وسجدا ... فانصر هداك الله نصرا ابدا

وادعو عباد الله يأتوا مددا ... فيهم رسول الله قد تجردا

إن سيم خطة وجهه تربدا ... في فيلق كالبحر يجري مزبدا

قال ابن هشام : فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم (نصرت

---

(١) موقف الاسلام من الشعر صـ ١٠٤

يا عمر بن سالم [١]..

وروي ابن إسحاق صاحب المغازي وابن هشام : قال ابن اسحاق لما نزل رسول الله صلي الله عليه وسلم الصفراء[٢] ، وقال ابن هشام : الأثيل - موضع قرب المدينة - أمر عليا فضرب عنق النفر بن الحارث ابن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا - وهو أحد المشركين الذين حاربوا الرسول والمسلمين يوم بدر - فقالت أخته قتيله بنت الحارث ترثيه[٣] (وقيل : انها بنت النفر وليست أخته) ..

يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح فامسة وأنت موفق

ابلغ بها ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق

هل يسمعني النفر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أمحمد ياخير ضنين[٤] كريمة ... في قومها والفحل فحل معرق[٥]

ما كان ضرك لو مننت وربما ... منّ الفتي وهو المغيظ المحنق

أوكنت قابل فدية فلينفقن ... بأعز ما يغلو به ما ينفق

فالنفر أقربه من أسرت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق

صبرا يقاد إلي المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام : فيقال - والله اعلم - إن رسول الله صلي الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال : لو بلغني هذا قبل قتله

(١) العقد الفريد جـ ٥ صـ ٢٠ (٢) دار من ناحية المدينة في طريق الحج (٣) السيرة لابن هشام جـ٢ صـ ٥ ٢ ، العقد الفريد جـ ٥ صـ ٢٧٩

(٤) الضبن ء : الأصل (٥) المعرق : الكريم

لمتت عليه ..

ولما انتهت معركة بدر ، نظر رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي قتل المشركين مصرعين ، فقال لأبي بكر رضي الله عنه : لو أن أبا طالب حي لعلم أن اسياقنا قد أخذت بالأماثل مشيرا الي قول أبي طالب (١) :

وأنا لعمر الله إن ما أري ... لتلتبس أسياقنا بالأماثل

وينهض قوم في الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وحين شحت السماء ذات ربيع ويصلي الرسول صلي الله عليه وسلم صلاة الاستقاء داعيا ربه ، لم يكد يفرغ من دعائه حتي تدفق المطر كأفواه القرب وكانت السماء قبل ذلك صحوا ما نري بها قزعة ، فنظر رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي أبي بكر وسأله مبتسما : ماذا قال الشيخ ؟ يريد أبا طالب فأنشده أبو بكر قوله : (١)

وأبيض يستقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامي عصمة للأرامل

يطيف به الهلال من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

الرسول صلي الله عليه وسلم يثني علي الشعر ويكرم الشعراء :

لقد ذكر الرسول صلي الله عليه وسلم الشعر بخير ، وأثني علي الشعراء أطيب الثناء ، وهو إذ يفعل ذلك انما يحث الناس علي كلمة الحق التي تنفع الامة وتعود علي المؤمنين بفائدة ..

(١) موقف الاسلام من الشعر والشعراء د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب صـ ١٠٣ ط أولي ....

إنه يؤكد للناس أن الشعر ينطوي علي العبرة والموعظة والحكمة الخالصة ، ويبين لهم ان من الشعراء الاطهار من لا يقول رفثا ولا - يتكلم بمعصية أو ينطق بباطل ..

ولم يكن صلي الله عليه وسلم ليكتفي بالقول ثناء بل تعداه الي المكافأة والتكريم اللذين يرجوهما الشعراء عادة من رؤساء القبائل وأمراء العرب ملوكهم فكيف من نبي مرسل ورسول كريم

لقد بلغ من تكريم الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم للشعر والشعراء أن وضع لحسان ابن ثابت رضي الله عنه منبرا في المسجد وطلب اليه أن يفاخر المشركين وأن ينافح عن رسوله الأمين وهو إلي ذلك يمنح المستحق بردا وحلة من أرديته الكريمة وثيابه الطاهرة وهي عند الشعراء الإيمان وألسنة الدعوة أغلي وأثمن من كل أموال الأرض ..

عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : إن من الشعر حكمة (١) وروي (عن ابن عباس رضي الله عنه قال : جاء أعرابي الي النبي صلي الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا وأن من الشعر حكما) (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : وهويقص في قصصه وهو يذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم : ان أخاكم لا يقول

---

(١) رواه البخاري أبو داود والترمزي ..
(٢) رواه أبو داود جـ ٥ /٢٧٧ ، ٢٧ ..

الرفث يعني بذلك ابن رواحة رضي الله عنه ..

وفينا رسول الله يتلو كتابه .: إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدي بعدالعمي فقلوبنا .: به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه من فراشه .: إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وجاء في حاشية التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدي ، قول الهيثم والزهري (١)

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلي الله عليه وسلم يضع لحسان منبرافي المسجد يقوم عليه قائما يفاخر أوينافح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ويقول رسول الله صلي الله عليه وسلم :

إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله) (٢)

ومدح عباس بن مرداس رسول الله صلي الله عليه وسلم فكساه حلة ، ومدحه كعب بن زهير فكساه بردا اشتراه منه معاويه بعشرين الف درهم وان ذلك البرد لعند الخلفاء الي اليوم(٣)

وكان مما أثني عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم : الشعر الصادق الذي صدر عن لبيد حيث قال : أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ..

(١) التجريد الصحيح لاحاديث الجامع الصحيح ..
(٢) رواه أبو داود ٥/ .. ٢
(٣) العقد الفريد جـ ٥ صـ ٢٩١

وقال له النبي صلي الله عليه وسلم : صدقت ، ثم قال لبيد :

وكل نعيم لا محالة زائل ..

فقال النبي : كذبت .... نعيم الجنة لا يزول (١)

وقد أنشد لبيد أبياته اللامية مخاطبا الرسول صلي الله عليه وسلم حين وفد عليه جماعة من قومه والتي قال فيها :

أتيناك يا خير البرية كلها .. لترحمنا مما لقينا من الأزل (٢)

وعن أبي حاتم عن الأصمعي قال : جاء رجل إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقال : أنشدك يارسول الله ؟ قال : نعم ، فأنشده :-

تركت القيان وعزف القيان .. وأدمنت تصلية وابتهالا

وكري المشقر في حومة .. وشني علي المشركين القتالا

فيارب لا أغينن صفقتي .. فقد بعت مالي وأهلي بدا

فقال النبي صلي الله عليه وسلم : ربح البيع ، ربح البيع (٣)

وقدم أبو ليلي النابغة الجعدي علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فأنشده شعره الذي يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا .. وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلي الله عليه وسلم إلي أين يا أبا ليلي ؟ فقال الي الجنة يارسول الله بك ، فقال النبي صلي الله عليه وسلم (إلي الجنة إن شاء الله) فلما انتهي الي قوله : (٤)

---

(١) كتاب اللطائف للمقدسي صـ ٢٥ (٢) ديوان لبيد صـ ٢٧٧
(٣) العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٧٦
(٤) راجع جمهرة اشعار العرب صـ٣٣ ،العقد الفريد جـ٥ صـ ٢٧٦

ولاخير في حلم إذا لم تكن له: بوادر تحمي صفوه أن يكـــــدرا
ولاخيرفي جهل إذالم يكـن لـه: حليم إذا ما أورد الأمر أصـــدارا

قال النبي صلي الله عليه وسلم (لايفضفض الله فاك) فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية) ..

وجـد هذا البيت منسوبا إلي كعب في طبقات فحول القوارير ووجـد منسوبا إلي حسان في القصد الفريد جـ ٥ صـ ٢٧ .. ..

وقال النبي صلي الله عليه وسلم لكعب بن مالك أتَريَ الله نسي لك قولك :

زَعَمَتْ سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغـــــلاب (١)

وذكر عيس بن عمر عن بعض اهل الطائف ، عن أخت (٢) أُميـة بن أبي الصَّلت ، فقالت : إني لفي بيت فيه أُمية نائم ، اذ اقبـل طائران أبيضان فسقطا علي السقف ، فَفُرِج السقف فسقـــط احدهما عليه ، فشق بطنه وثبت الآخر مكانه ، فقال الأعلي للأسفـل أَوَعَي ؟ قال : وَعَي .. قال : أَقَبِلَ ؟ قال : أبي ـ ويقال (قـال) زَكّـا .. قال : خَسَـا ـ فرد عليه قلبه وطار،والتأم السقف قالـت : فلما استيقظ قلت له : يا أُخي .. أحسست شيئاً .. قال : لاَ وإنـي لأجـد توصيبـا ، فما ذاك ؟ فأخبرته .. قال : يا أُخَيَّة أنا رجـل أراد الله بي خيرا فلمإقبله قالت فلما مرض مرضته التي مات فيها قالت : فإني عنده إذ نظر الي السماء وشَق بصره ثم قال :

(١) العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٧ (٢) هذه القصة روتها لرسول الله صلي الله عليه وسلم اخته القارعة بنت أبي الصلت ، وكانت امراة ذات لب وعفاف وجمال ، وكانت قدمت عليه مسلمة ..

لَبَّيكُمـا لَبَّبكُمـــــا هَـا أنا ذا لَدَيكمـــــا

لا ذو براءة فأعتذر ، ولا ذو قوة فأنتصر ، ثم أغمي عليه ، ثم شق بَصَرُه ونظر وقال :

لبيكمـا لبيكمـــــا هَـا أنا ذا لديكمـــــا

وقال : لا ذو عشيرة تحميني ، ولا ذو مال يدفيني ، ثم اغمي عليه فقلنا : قد أودَي .. ثم شق بَصَرُه ونظر الي السماء وقال :

لبيكمـا لبيكمـــــا هَـا أنـا ذا لديكمـــــا

بالنعم محفود ، من الذنب مخضور ، ثم أغمي عليه ، ثم شق بَصَرُه وقال :

ان تَغفِر الَّهُمَّ تغفِرْ جَمًّا وأَيُّ عَبدٍ لك لا ألَمَّـــا

ثم أغمي عليه ثم افاق فقال :-

ليتني كُنت ، قبل ما قد بدالي في قلال الجبال ارعي الوعولا
كل عيش وان تطاول دهـــرا قصره مرة الي أن يَـــــزُولا (١)

وهو الذي نزل فيه قول الله تعالي (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنـــا لرفعناه بها ولكنه اخلد الي الأرض فمثله كمثل الكلب إن تحمـل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنـــا فأقصص القصص لعلهم يتفكرون) (٢)

وكان يهجو الرسول ويرثي قتلي بدر ومع هذا فقد كان الرسول

(١) طبقات فحول الشعراء جـ ١ صـ ١٦٥ - ١٦٧
(٢) سورة الاعراف الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦

صلي الله عليه وسلم يستنشد شعره ويقول آمن لسانه وكفر قلبه بل ان الرسول صلي الله عليه وسلم قد استشهد بقوله :-

ان تَغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما

ولو كان الرسول يكره الشعرلاعرض عن شعر أمية هذا علي الأقل وهو حاقده اللدود .. (١)

وقد روي عمر بن أبي زائدة قال : سمعت مدرك بن عمارة ابن عقبة بن أبي معيط يقول : قال عبد الله بن رواحة : مررت بمسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه فأضب القوم (٢) : يا عبد الله بن رواحة يا عبد الله بن رواحة فعرفت أن رسول الله صلي الله عليه وسلم دَعاني ، فإنطلقت إليهم مسرعا ، فسلمت فقال : هَهنُا : فجلست بين يديه فقال : كأنه يتعجب من شعري : كيف تقول الشعر إذا قلته ؟ قلت : انظُر في ذلك ثُمَّ أقول .. قال : فعليك بالمشركين .. قال : فلم اكن اعددت شَيئا ، فأنشدته ، فلما قلتُ :

فخبروني أَثمان العبادِ ، متي — كنتم بَطَاريق أودانتكم مضر (٣)

قال : فكأني عرفت في وجه رسول الله صلي الله عليه وسلم الكراهة إذ جعلت قومه (أثمان العباد) (٤)

---

(١) انظر البيان النبوي ، د/ محمد رجب البيومي صـ ٧٩ ، موقف الإسلام من الشعر ـ د/ صلاح الدين محمد عبد التواب صـ ١٠٢
(٢) أضب القوم : صاحوا وجلبوا وتكلموا كلاما متتابعا ..
(٣) رواه الآمدي في الموءتلف والمختلف صـ ١٢٦
(٤) العباد : كساء جاف غليظ ، فجعلهم اثمان العباء في الخسة ..

فقلت :-

نجالد الناس عن عرض فنأسرهـــم
فينا النبي وفينا تُنزَلُ الســـور
وقد علمتم بأنا ليس غالبنـــا
حَيٌّ من الناس ان عزوا وان كثروا
يا هاشم الخيرِ إنَّ الله فضلكـــم
علي البرية فضـلا مـاله غيـــر
اني تفرست فيك الخير أعرفـــه
فِراسة خالفتهم في الذي نظـــروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهـــم
في جُل أَمرك ما آوَو ومـا نَصَـــروا
فثلبت الله ما آتاك من حســـن
تثبيت موسي ، ونصرا كالذي نصِروا

فأقبل عليَّ بوجهه مبتسما .. ثم قال : وإياك فثبت اللّه (١)

الرسول صلي الله عليه وسلم يدعو للشعراء :

إن خير ما يرجو الشعراء المؤمنون وأطيب ما يتمنون أعظم من كلمة الثناء أو موقف التكريم أو عطاء الواهب أن ينالهـــم من دعـاء الرسول الكريم لهم بالجنة أو حسن الثواب ، وقد دعـــا الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم لعدد من الشعراء في مواقـــف متعددة تمثل رضاه عن الشعر والشعراء ما التزموا الخير وكان بينهم وبين الدعوة اصرة ووثاق لا تنفصم عراه .

(١) طبقات فحول الشعراء صـ ٢٢٥ ، ٢٢٦

أنشده حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله :

هجوت محمدا فأجبت عنـــه ... وعند الله في ذاك الجـــــزاء

فقال له : جزاوك عند الله الجنة يا حسان ..

فلما قال :

فإن أبي ووالده وعرضـــــي ... لعـرض محمد منكم وقـــــــاء

قال له : وقاك الله حر النار ..

فقضي له بالجنة - مرتين في ساعة واحدة وسبب ذلك شعره(١)

الرسول صلي الله عليه وسلم يتمثل بالشعر :

كان النبي صلي الله عليه وسلم يتمثل بين الحين والآخر بالشعر مما كان يحفظه أو يستمع له ..

وسواء أكان تمثله بالشعر مستقيم الوزن أو أنه يعمد الـــــ الإخلال بوزنه عن قصـد ليعمق في أذهان اصحابه والناس جميعـــا أنه صاحب دعوة لا صاحب شعر وأنه رسول كريم لا شاعر فإن ذلك يشير إلي أن ترديد الشعر أمر لا غبار عليه بل السوء كل الســـوء فيما يقال من قول فاحش أو كلام منكر سواء تردد علي لســـان خطيب أو لسان شاعر .....

عن جندب رضي الله عنه قال : بينما النبي صلي الله عليـــه وسلم يمشي إذ أصابه حجر فعثر فدميت أصبعه فتمثل يقول (٢)

(١) العمدة جـ ٢ (٢) العقد الفريد جـ ٥ صـ ٢ ، رواه البخاري

هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

فهذا من المنثور الذي يوافق المنظوم ، وإن لم يتعمد به قائله المنظوم ، ومثل هذا من كلام الناس كثير ، يأخذه الوزن ،مثل قول عبدٍ مملوك لمواليه اذهبوا بي إلي الطبيب وقولوا قد اكتوي ومثله كثير مما يأخذه الوزن ولا يراد به الشعر ولا يسمي قول النبي صلي الله عليه وسلم وإن كان موزونا شعرا ، لأنه لا يراد به الشعر ومثله في أي الكتاب : (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) ومنه (وجفان كالجواب وقدور راسيات) ومثله : (ويخزهم وينصركم عليهم) ويشفي صدور قوم مومنين) ومنه (فذلك الذي يَدُعّ اليتيم)

وسئلت عائشة رضي الله عنها ، هل كان النبي صلي الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويتمثل ويقول : (ويأتيك بالأخبار من لم تزود) ..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل .. وكان امية بن أبي الصلت ان يسلم (٢)

وعن البراء رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلي الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب وقد واري بياض بطنه وهو يقول

(١) رواه الترمزي ..
(٢) رواه الشيخان والترمزي ...

لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولي قدبغواعلينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وعن أنس رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك ، فلما رأي ما بهم من الغضب والجوع قال :

إللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للإنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له :-

نحن الذين بايعوا محمدا علي الجهاد ما بقينا أبداً

وعنه رواية انهم كانوا يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا علي الإسلام ما بقينا أبداً

وهو يجيبهم :

اللهلا خير إلاخير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة(٢)

وقد كان الرسول صلي الله عليه وسلم ينقل البن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر(٣)

الرسول صلي الله عليه وسلم يدل الشاعر علي ما هو أفضل :

لكعب بن مالك قصيدة طويلة يرد فيها علي صبيرة بن أبي

(١) موقف الإسلام من الشعر صـ ٩٧
(٢) البخاري في الجامع (٣) في تخريج العلامة العراقي لأحاديث احياء علوم الدين قال: انفرد البخاري بهذا البيت في قصة الهجرة

وهب .. وقد قال فيها :-

مجالدنا عن جزمنا كل فخمة مذرية فيها القوانس تلمع

ويروي أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال حين سمع هذا البيت ألا يصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب ، نعم : فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم فهو أحسن فكان كعب يقولها كذلك (١)

الرسول صلي الله عليه وسلم يذكر المسلمين بشعر حسان ويسجيب لأمنية شعرية لشاعر الدعوة :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : لما دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم عام الفتح رأي النساء يلطمن وجوه الخيل فيتسم إلي أبي بكر وقال (يا أبا بكر ، كيف قال حسان) فانشده أبو بكر رضي الله عنه :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساء

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم (أدخلوها من حيث قال حسان)

الرسول صلي الله عليه وسلم يذم الشعر وسبب ذلك :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال (لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتي يريه (٢) خير من أن يمتلي شعرا) (٣)

(١) الأغاني جـ١٥ صـ ٣ ، السيرة ق ٢ صـ ١٣٦

(٢) البداية والنهاية جـ٤ صـ ٢٩٤

(٣) يريه من الوري وهو داء يفسد الجوف .. (٤) رواه مسلم ١٧٦٩/٤

وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث عن ابن الهـــاد عن محتس مولي مصعب بن الزبير عن ابي سعيد قال : بينمـــا نحن نسير مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال النبي صلي الله عليه وسلم (خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان ، لأن يمتليء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلـــي شعرا) (١)

ومن الغريب أن ينبري فريق من الناس يستهجن الشعـــــر ويستقبحه لموقف واحـد أو حديث معين للرسول الكريم ويتناســـي كل مواقف الثناء وأحاديث الحث علي الشعر كما بينا من قبل ..

إن المتدبر للأمر الممعن النظـر فيما يقرأ يستطيع أن يـدرك أن الذم قد قصـد به شاعر معين في موقف خاصن أو شعر معين من طـراز خاصن كذلك ، ولا يقبل عقـلا أو نقلا أن يكون في موقـف النبي الكريم تناقض أو في أوامره تعارض واختلاف حيث نـــراه يثني علي عدد من الشعراء خيرا وعلي طراز معين من الشعر ثم إذا به في موقف آخر يذم الشعر والشعراء فيقبل بالقيح دون الشعـــر في جوف المرء أو يسمي شاعرا من الشعراء شيطانا ..

لقد بات واضحـا أن الإسلام قرآنا وسنة ميز شعراء الدعـــوة عن شعراء الوثنية وخصن شعراء الإيمان والخير بالثناء العطر بينما خصن شعراء الكفـر والشـر بالخزي واللعنة والصفار ..

وأما قوله عليه الصلاة والسلام : (لأن يمتليء جوف أحدكـــم

(١) تفسير ابن كثير : تفسير سورة الشعراء ٣٥٣/٣

قبحا حتي يريه خير له من أن يمتلئ شعرا) فإنه فيمن غلب الشعر علي قلبه وملك نفسه حتي شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالي وتلاوة القرآن والشعر وغيره - كما جري هذا المجري من شطرنج وغيره سواء (١)

نستطيع أن نتبين مما ورد من نصوص صريحة وأحداث ثابته وقعت في حياة النبي صلي الله عليه وسلم أن الشعر حظي بالتكريم وأن له في تاريخ الدعوة الإسلامية مكانة ، وأن الشعراء قد نالوا من ثناء الرسول عليهم ودعائه لهم مكافأته اياهم ما يؤكد رضاه صلي الله عليه وسلم عن الشعر العف الهادف والشعراء والاطهار ...

وإننا لنراه صلي الله عليه وسلم يحث من يحسن أن يقول ا الشعر من أصحابه أن يقوله في المناسبات التي تدعو لذلك ..

وهكذا عرفت الدعوة الإسلامية ألسنة الحق الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذابين عن حياض الإسلام من شعراء الهدي والدعوة إلي الله ..

ولقد كان الناس انماطا ونماذج شتي وهم يقبلون علي دعوة الله ، فمنهم من آمن مصدقا رسول الله الصادق الأمين الذي ما عرف عنه الكذب قط ، ومنهم من أعمل عقله وتدبر أمره وراح ، يتفكر فيما دعي إليه فآمن ، وفريق أقبل علي الدعوة لجميل ما لمس

(١) البخاري في الجامع ....

وكريم ما رأي من سلوك المؤمنين الدعاة منهم ، ومن آمن لإعجاز القرآن أو فصاحته ....

ومع ذلك فإننا نجد الشعر أناساً يقدرونه ويجعلون منه اعجابا بشاعر أو خوفا من هجاء كما حدث لوفد بني تميم ورئيسهم الأقرع بن حابس الذي قال : لخطيبهم - ويعني خطيب المسلمين - أخطب من خطيبنا وشاعرهم أشعر من شاعرنا ..... ثم آمنوا ودخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم ..

ولم تقف مهمة الشعر في عهد الرسول الكريم عند حد الدعوة المباشرة إلي الله أو هجاء المشركين واعداء الدعوة بل إننا لنراه في ميادين العمل وساحات الجهاد يردده أصحاب النبي ويتمثل به صلي الله عليه وسلم ..

ولم يمنع نزول الوحي يومئذ وحفظ المسلمين آيات من القرآن الكريم وحفظ بعضهم لكل ما كان ينزل من أن يلجأ المسلمون الي الشعر يرددونه علي ألسنتهم بين يدي الرسول أكان في مجالس الراحة والسمر ، أم في مواقف الجد العصيبة باعتباره نشيد عمل وكفاح وحداء معركة وجهاد في سبيل الله ..

محمد صلي الله عليه وسلم رسول لا ناقد :

وعلي الرغم مما سقناه من نصوص وأوضحناه من قول حول رأي الرسول الكريم في الشعر والشعراء فإنه صلوات الله عليه وسلامه

لم يكن فيما قال من آراء وفيما عقب من كلام علي الشعر والشعراء ناقدا أدبيا تناول جوانب القوة والضعف ، أو القبح والجمال الفني في شعر شاعر ذلك أنه قد بعث نبيا لأمة ورسولا للخلق ولم يبعث ناقدا أو حكماً بين الشعراء ...

وفي ذلك يقول الأستاذ العقاد :-

وقد نقلت إلينا تعقيبات معدودة عن رأي النبي في الشعر والشعراء لا تدخل في النقد الفني وتدخل في كلام الأنبياء الذين يقيسون الكلام بمقياس الخيروالصلاح والمطابقة لشعائر الدين وسنن الصدق والفضيلة) (١)

وقد استحسن ما قيل من الشعر في النضح عن الإسلام والذود عنه وعن آله فكانت آراوه هذه وشبهاتها آراء الأنبياء فيما يحمدون من كلام ، لأنهم قد بعثوا لتعليم الناس دروس الخير والصلاح ، ولم يبعثوا ليلقنوهم دروسهم في قواعد النقد والانشاء(٢)

ما كان النبي شاعراً قط :

لقد ركز القرآن الكريم علي نفي صفة الشعر أو قوله عن النبي صلي الله عليه وسلم ولم يكن ذلك تحريما للشعر أو ازدراء للشعراء وتحقيرا لمكانتهم ، وإنما كان لأسباب واضحة بينة أهمها :-

---

(١) عبقرية محمد العقاد ..
(٢) عبقرية محمد العقاد ..

أولا :

إن النبي لم يكن في الحق شاعراً ولم يقل الشعر قط ، وبذلك يكون نفي قول الشعر عنه تقريراً لواقع وذكرا لحقيقة لا إستهجاناً للشعر أو ازدراء لقائليه ، ولو اتهم المشركون رسول الله صلي الله عليه وسلم بأنه طبيب بارع مثلا وكان بين التهمة والرسالة ارتباطا لما استبعد أن ينزل في ذلك قرآن ينفي التهمة الباطلة والزعم المردود مثلما نفي القرآن صفة الألوهية عن السيد المسيح لأنه ليس كما زعم المبطلون بل رسول رب العالمين ....

ثانيا :

أن قريشا اتهمت الرسول عليه الصلاة والسلام تهما باطلة منها أنه كان ساحرا كاهنا مجنونا كاذبا يروي اساطير الأولين وأنه كان شاعراً فوددت الآيات الكريمة تفند كذب المشركين وباطل الكافرين وترد التهمة وتنفي الزعم ، وأن بين الشعر والسحر والجنون والكهانة في اذهان العرب قديما رباطا وعلاقة تقوم علي الغوص والقوة والرهبة كما يؤكدون العلاقة بين السحر والشعر ذلك أن لكل من الساحر والشاعر مارد من الجن يحركة ويوحي له أفكاره وأخباره، كما أن لكل منهما تأثيرا علي المستمعين لسحر الساحر أو شعر الشاعر علي حد سواء ..

(ووجه الشبه بين السحر والهجاء واضح .. فالسحر كلمات تقال فيصيب شرها المسحور ، وينصب ما تضمنت من لعنة علـــــي المقصود بالإيذاء ، والهجاء كذلك كلمات تقال فيها معنـــي الشر واستمطار اللعنة ، والساحر يتوسل إلي شياطينه وأرواحه الشريرة أن تعينه علي إلحاق الأذي بالمسحور ،والهجاء يشغلهم شيطان الهجاء ويستعينه علي المهجو .. ولذلك غلب بذكـــر شياطين الشعر في الهجاء بنوع خاص كما هو واضح في الأمثلة التي قدمناها ..) ..

ولأمر ما نسب الناس هذه القوة الخفية التي تمد االشاعـــر بالشعر للشر ولم ينسبوها للخير ، فقالوا (شيطان الشعـــر) ولم يقولوا (ربة الشعر) كما تعود اليونان أن يقولوا .. وكان الشاعر إذا هجا ربما فرج علي الناس في زي غير مألوف ، وبالغ في مسخ شكله وتشويه خلقته .. قال الرافعي [1] : (وكان القيسيون قد صدروا النعمان عنهم فأرادوا تقديم لبيد ليرجز بالربيع بن زياد رجزا موءلما ممضاً ـ وكان هو الذي صرف الملك بالطعن فيهم وذكر معايبهم فحلوا رأسه ، وتركوا لـــه ذوءابتين وألبسوه حلة .. وغدوا به معهم فدخلوا علي النعمـــان فقام وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخي ازاره وانتعل نعلا واحدة قال : وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء

ونقل الرافعي كذلك عن الأغاني [2] (وكان ذي حسان بـن

(١) تاريخ الأدب نقلا عن أمالي المرتضي ١٣٥/١
(٢) تاريخ الأدب نقلا عن الأغاني جـ ٤ صـ ٣

ثابت في خضابه ، فكان يلوث شاربه وعنفقته بالحناء دون سائر لحيته ، فيبدو للأعين كأنه أسد والغ في الدم.وروي الألوسي في بلوغ الأرب : (والشاعر منهم كان إذا اراد الهجاء دهن احدي شقي رأسه وأرخي ازاره وانتعل نعلا واحدة) (١)

ثالثا :

أن كثيرا مما كان يقال من الشعر في الجاهلية من مدح رخيص وهجاء مقذع وغزل فاجر وفخر كاذب كان يتنافي مع أبسط قواعد الخلق والاستقامة لدي الانسان السوي فما بالك بنبي كريم ورسول عظيم ، ونفي صفة الشعر عنه شيء أساسي لتتميز شخصية الرسول الصادق الأمين من شخصية الشاعر الذي عرف يومئذ فروراً ماجنا كاذباً متكسباً ....

رابعا :

أن في القرآن الكريم وآياته العظيمة جرسا موسيقيا أخاذاً له علي المستمع تأثير كبير حاول الجاهليون ان يخلطوا بينه وبين الشعر الموزون المقفي فجاءت الآيات الكريمة تحدد لهم مفهوم الرسالة وشخصية الرسول وتفرق لهم بين أسلوب الشعر وتبين لهم أن كلام الله عير كلام البشر ، وأن شخصية الرسول غير شخصية الشاعر ، وأن تأثير القرآن واعجازه ومحكم تنزيله

(١) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ـ للدكتور محمد محمد حسين صـ ٦٧ ، ٦

غير تأثير الشعر وأوزانه وقوافيه ...

قال تعالي :

(وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الآ ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول علي الكافرين) (١)

وبذلك يؤكد القرآن أن الله لم يعلم رسوله الشعر ولم يوجهه إليه ليميز بين القرآن والشعر وبين الرسول والشاعر ، ويوضح أن القرآن ذكر من الله نزل علي قلب نبيه لينذر الناس ويبين لهم طريق الخير وطريق الشر ويدعوهم إلي نعيم الجنة ويحذرهم من عذاب النار فمن أعرض عن دعوته وكذب برسالته كان من الكافرين الذين يحق القول عليهم بالعذاب الأليم ..

قال تعالي :

(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسروا النجوي الذين ظلموا هل هذا الآ بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون * قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم * بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون * ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون * وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون (٢))

وكلما أصر الكافرون علي أن رسول الله شاعر أو كاهن أومجنون

(١) الآيتان ٦٩ - ٧٠ من سورة يس
(٢) الآيات ١ - ٧ من سورة الأنبياء .....

يفتري القول ويدعي النبوة تناول القرآن التهمة وردها بل وسفة أحلام مروجها مبيناً لهم أن الرسالة غير الكهانة وأن النبوة غير السحر والشعر منبهاً عقولهم الي التفكر والتدبر في أمر رسول رب العالمين الذي لا ينطق عن الهوي ولا يفتري القول علي الناس ، يدعي النبوة ادعاء ، وإننا لنري القرآن يتحداهم حينا أن يأتوا بسورة من مثله إن كانوا صادقين في ما ينسبونه للنبي من صفة الشعر وفيهم الشعراء الذين لا يجارون ، وحينا بسفة أحلامهم ويهزأ بتفكيرهم ،ويصر علي حقيقة النبوة وصدق الرسالة ..

فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ※ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المقون ※ قل تربصوا فإني معكم من المتربصين ※ أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون ※ أم يقولون تقوّلة بل لا يؤمنون ※ فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) (١)

وقال تعالي :-

(ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ※ بل جاء بالحق وصدّق المرسلين) (٢)

وقال جل وعلا :

(فلا أقسم بما يقصرون ※ وما لا ينصرون ※ انه لقول رسول كريم ※ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ※ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ※ تنزيل من رب العالمين) (٣)

ولقد وفق ابن رشيق القيرواني في العمدة إذ تناول هذا المعني

(١) الآيات ٢٩-٣٤ من سورة الطور (٢) الآيتان ٣٦،٣٧ من سورة الصافات (٣) الآيات ٣ - ٤٣ من سورة الحافة ...

وبين أنه لا ينال من كرامة الشعراء أو يعني امتهانهم إذ لم يكن الرسول شاعرا كما لاينال من قدر الكتاب ولا يمتهن الكتابة اذ يبعث عليه السلام أميّاً ..

(ولعل بعض الكتاب المنتصرين للنثر الطاغين علي الشعر يحتج بأن القرآن كلام الله تعالي منثوراً وأن النبي صلي الله عليه وسلم غير شاعر .. لقول الله تعالي : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ويري أنه أبلغ في الحجة ، وبلغ في الحاجة والذي عليه في ذلك اكثر مماله ، لأن الله تعالي انما بعث رسوله أميّاً غير شاعر الي قوم يعلمون منه حقيقة ذلك + حتي استوت الفصاحة واستهرت البلاغة ، آية للنبوة ، وحجه علي الحق واعجازا للمتعاطين، وجعله منثورا ليكون أظهر برهاناً لفضله علي الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً علي ما يحبه من الكلام وتحدي جميع الناس من شاعر وغيره يعمل مثله فأعجزهم ذلك كما قال الله تعالي :-

(قل لئن اجتمعت الأنس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ..

فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر ، كذلك أعجز الخطباء وليس بخطبةً والمترسلين وليس بمترسل ، واعجازه الشعراء أشد برهاناً ، ألا تري كيف نسبوا النبي صلي الله عليه وسلم الي الشعرلما غلبوا وتبين عجزهم ، فقالوا هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته وأنه يقع منه مالا يلحق والمنثور ليس كذلك .. فمن هنا قال الله

تبارك وتعالي : -

(وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له ، أي لتقوم عليكم الحجة .. ويصح قبلكم الدليل ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال : معناه : ما الذي علمناه شعراً، وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعراً ....

وقال غيره ، أراد وما ينبغي له أن يبلغ عنا ما لم نعلمه أي: ليس هو ممن يفعل ذلك لأمانته ومشهور صدقه ، ولو أن كون النبي صلي الله عليه وسلم غير شاعرغض من الشعر لكانت أميته غضا من الكتابة وهذا أظهر من أن يخفي علي أحد) (١)

بقلم الدكتور/ عبد الصبور ضيق
الأستاذ المساعد في كلية
اللغة العربية

---

(١) العمدة ١/ ٢٠٠ - ٢١